مرآة الانتقام

مروه مصطفى

كان صلاح منزعجًا في ذلك الصباح، يتحرك في الغرفة وهو يحدث نفس؛ فكان يسكن أمامه رجل عجوز يزعجه ويثير فضوله في آنٍ واحد، فهو يسمع تخبيطه وثرثرته طوال اليوم.

جاء صلاح من منفلوط إلى القاهرة، والتحق بوظيفة إدارية بأحد المكاتب، واستأجر غرفة صغيرة بالقرب من عمله، غرفة تحمل سرير صغير ينزوي إلى جوار الحائط وبجواره نافذة دائما يتركها مفتوحة، وتحتوي أيضًا على خزانه بجانبها مرآه مستطيلة معلقة على الحائط المقابل للنافذة، وفي الجانب الآخر منضدة صغيرة وكرسي خشبي، كانت تشعره بالراحة رغم صغرها ولكن الشيء الجميل لم يكتمل فبدأت متاعبه مع جاره العجوز.

استعد للذهاب إلى عمله، وقف أمام المرآة ليهندم ملابسه، وقتها رأى العجوز في المرآة ينظر إليه من نافذته المواجهة لنافذته بوجه تملؤه التجاعيد، ويحيطه الظلام وعندما رآه التفت ليلومه على إزعاجه، فلم يجد له أثر، زاد فضوله تجاه ذلك العجوز وذهب باتجاه النافذة لعله يخرج مرة أخرى، فلم يظهر إلا الظلام، سأل نفسه كيف يعيش ذلك العجوز في الظلام؟! تدارك الأمر وقرر أنه سيذهب إليه بنفسه إذا تكرر إزعاجه.

obeikandl.com

كان صلاح هادئ الطباع؛ فمنذ مجيئه إلى القاهرة لم يختلط بأحدٍ، حتى في عمله لم يتحدث مع زملائه إلا في أضيق الحدود.

مر يومه وعاد إلى بيته، ومنذ أن دخل غرفته سمع ضوضاء العجوز وظل يتجاهله حتى منتصف الليل، فضاق من ثرثرته ونظر من النافذة فلم ير إلا الظلام؛ فوقف أمام المرآة يراقب النافذة فإذا خرج وبخه.

وبالفعل ظهر العجوز، فاستدار لكن لم يجد له أثرًا، فنظر مرة أخرى في المرآة فها هو يطل العجوز ثانيةً، ولكن الغريب أن بدا على عينيه الاحمرار، ولأول مرة يشير العجوز، ولكن إلى ماذا يشير؟ تتبع إشارته حتى خمن أنه يشير إلى خزانته والتي كانت على مرأى من النافذة، اتجه صلاح للخزانة وكأن أحد يقوده، وفتحها فسقطت عيناه على رأس فتاة تنظر إليه وعيناها تدمع، ارتجف، وأغلق الخزانة وهو يصرخ وينظر لنافذة العجوز فلم يجده، فنظر إلى المرآة فظهر العجوز وعيناه تزدادُ إحمرارً، ارتعش جسده، وكان شيء يقوده تجاه بيت العجوز ولم يستطع مقاومته، كان الشارع خاويًا لا يوجد غير الصمت والظلام ونباح كلب لم يصمت أبدًا.

صعد لبيت العجوز وهو خائف، ووصل أمام باب يعلوه خيوط العنكبوت وكأنه بيتٍ مهجور، فوجد بابه مفتوح يخرج من فتحته الصغيرة ضوء طفيف، فتحه بيده المرتعشة، وخطى ببطء وبكل خطوة يزداد الظلام وتزداد رجفته، فإذا به على حافة نافذة يرى منها نافذة غرفته، وإذا به يرى نفسه في مرآته، ومرت لحظة حتى دب في جسده رعدة، فأغمض عيناه يصارع صرخته المكتومة؛ فقد شعر بقبضةٍ تستقر فوق كتفه، ففتح عيناه مرة أخرى فوجد وجه العجوز في المرآة

يلاصق وجهه فهو يشعر بأنفاسه وبقلبه الذي يدق كرصاصاتٍ تخترق جسده، التفت وهو لا يزال يحاول أن يصرخ، وزادت المسافات بينهم في لحظه بمقدار خطوتان وبينهما ضوء خفيف لم يكن معلوم مصدره، وباتت ملامح وجه العجوز واضحة وجه مجعد، وعينان مكسورتان، ودموع تستقر في قاعٍ أحمر وكأنهن قطرات ماء فوق جمرات مشتعلة.

نطق صلاح بشفاه مرتعشة وكلمات متلعثمة:

-من أنت؟ ماذا تريد؟أنت تقصد إرعابي، تريد التخلص مني، أنت تكرهني؟

فأجابه العجوز بنبرة قوية ليست كضعفه الذي يبدو عليه:

- بل أنت الذي تكرهني، أنت الذي جعلتني أضع تلك الرأس في خزانتك، كان الصوت كالرعد يعلو بقوة يزلزل المكان.

لم يتمالك صلاح نفسه فدفع العجوز بقوةٍ؛ فسقط أرضًا وارتطم رأسه بحجر لم يعي من أين أتى؟ وإذا الدماء تسيل من رأس العجوز وتنهمر حتى أصبحت نهرًا، نظر إليها بدهشة ثم التفت لقدميه فوجدها تنغمس في الدماء؛ فركض خارج هذا البيت اللعين وهو يصرخ، وصعد إلى غرفته في لمح بصر وأغلق ورائه الباب، وجلس على سريره يضم قدمه بين ذراعيه وهو يرتجف حتى سمع طرقات قوية على الباب؛ فانتفض ووقف فوق سريره يلتصق بالحائط، فزادت الطرقات لكنه لم يتحرك ويزيد نحيبه؛ ففُتح الباب وإذا بشرطي وخلفه عدد من الناس، رأى صلاح الشرطي فصرخ وقال:

- أنا لم أقتله هو من يريد قتلي، وظل يردد عباراته فأخذه الشرطي والناس تشاهده بفضول.

حُبس صلاح وأمر الضابط بالتحري عنه في بلدته واستدعاء أفراد من أقاربه، واستدعى صاحب البيت الذي استأجر منه صلاح غرفته وشهود آخرين شاهدوا الحادث، وشهادتهم جعلت الأمر أكثر حيره.

استجوب الضابط صاحب البيت فأجاب:

-صلاح رجل هادئ، ولم نر منه شيء إلا في تلك الليلة.

-وما الذي حدث في تلك الليلة؟

-في منتصف الليل سمعت صراخ لم اعرف في بادئ الأمر مصدره، فنظرت من نافذتي فوجدت صلاح يركض إلى أرض فضاء أمام بيتي، وكان الظلامُ دامسًا فلم أر شيئًا، وسمعت نحيبه وكلمات غير واضحة، هممت إليه ولكن ترددت واتصلت بالشرطة.

-الأمر محيرٌ!

فكل الشهود كرروا نفس كلامه وتأكد الضابط بنفسه أن أمام سكن صلاح أرض فضاء وليس هناك أثرا لجثه ولا أحد يعرف العجوز الذي يحكي عنه.

في اليوم التالي استقبل الضابط ثلاثة أشخاص، امرأة وجهها هادئ وعيناها حزين، ورجلان أحدهما محام، سأل الضابط المرأة:

-ما اسمك، وما هي قرابتك للمتهم؟

-اسمي رقيه محمد، زوجة صلاح.

استجوبها الضابط وبدأت رقيه توضح الأمر:

obeikandl.com

كانت حياتنا مستقرة، وكان زوجي يعمل محاسبًا في منفلوط وكان لنا بنت فقدناها في حادثٍ، كنا نتنزه في أحد الملاهي، ونرى ضحكات ابنتنا، لعبت كل الألعاب إلا لعبة واحدة، قال لها صلاح تركبينها؟

قالت: لا يا أبي إنها تدور بسرعة، أخاف أن أركبها!

قال: بل ستجدينها ممتعة.

أصرت على عدم رُكبها ووافقتها فكنت أخشى عليها.

لكن صلاح أصر حتى ركبتها ويا ليتها لم تركبها، سقطت أمامنا وارتطم رأسها بصخرةٍ، سال الدم من رأسها وغبتُ عن الوعي، وأفقت بعد يومين فوجدت صلاح قد تبدل، يحدث نفسه وأحيانا يصرخ ويتكلم عن عجوز.

واسى الضابط رقيه، ثم سألها:

-ومن هذا العجوز؟

تدخل الرجل الثاني الذي كان برفقة الزوجة والمحامي وأجاب:

-اسمح لي أوضح من هو؟ أنا دكتور جلال، طبيب صلاح، فقد تسبب الحادث إلى أزمة كبيره أثرت عليه.

-وكيف تربط مرضه باعترافه بالقتل؟

-العجوز ليس حقيقيًا بل اختلقه خياله فيراه من خلال المرآة فقط، فالمرآة تعكس نفسه التي بداخله وهو العجوز الضعيف، عجوز عيناه حمراء ممتلئة بالدموع تصف ضعفه وبكاء قلبه المستمر، ويراه يشير إلى شيء وكلما تتبع إشارته يرى ابنته تنظر إليه بعين تدمع؛ فبذلك يؤنب ضميره لإصراره على ركوبها اللعبة، وأما قتل العجوز فهو انتقام من نفسه الضعيفة يتكرر دائما بنفس الطريقة التي

obeikandl.com

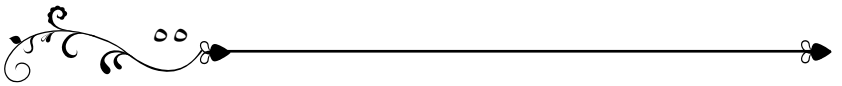

ماتت بها ابنته، حاولنا علاجه لكنه هرب من المستشفى وجاء إلى القاهرة، بحثنا عنه كثيرًا.

-وهل لديك ما يثبت حالته؟

تدخل المحامي: هذه تقارير موثقه من المستشفى. أعطاها للضابط وطلب منه بصفته محاميه الإفراج عنه.

تبين الضابط الأمر وأفرج عن صلاح وعاد للمستشفى وقد فارقه الجميع، ولم يبق برفقته إلا العجوز.

opeikandl.com